بصائر من الوحي في فقه النفس وتزكيتها

١- كيف زكى النبي ﷺ شباب الإسلام ؟

✍ حسين عبد الرازق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وأزواجه وذُريَّته، كما صليتَ على آل إبراهيم، وبارِك على محمَّد وأزواجه وذُريَّته، كما باركتَ على آل إبراهيم؛ إنَّك حميدٌ مجيد.

أقول وما توفيقي إلا بالله:

كان رسول الله ﷺ بعد حمده لله واستعانته به واستغفاره يستعيذ من شرور النفس وسيئات الأعمال (شرور النفس أهواؤها وأمراضها التي توقع في الإثم وتصرف عن الخير والحق)

وسيئاتُ الأعمال: هي عقوبات الأعمال، والمصائبُ التي تصيب العبد بسبب شرور نفسه. كما في قول الله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾.

وطالب العلم أيها الشباب الكرام إنسانٌ له أهواءٌ وشهواتٌ، وعنده أمراضُ قلب، وشرور نفسٍ بل ربما في حياته العلمية يُمتحنُ بما يحتاج مجاهدةَ نفس عظيمة لينهى نفسه عن هواها، وهولا شك يخشى أن يعمل بمقتضى شرور نفسه ويخشى من عواقب تلك الشرور.

فهو بحاجة إلى بصائر يعرف بها نفسَه وخيرَها وشرَّها ويهتدي بها لسُبل إصلاحها وتزكيتها.

وكم كنت أُحبُّ أن ينصحني من سبقني إلى طريق الفقه في الدين ويُبصرَني، ويوجهَني، ويتعاهدَني بالتذكير بتلك المعاني، وكنتُ أفرح كثيرا بذلك –مع قلة من ينصح بمثله –وأراه أعظمَ ألف مرةٍ وأنفع من مجرد جمع المعلومات والمعارف **فإن المعارف إذا لم ترِد على قلب سليم وعقل حكيمٍ فما تزيدُ صاحبَها غيرَ تخسير**

لذلك أحب أن أبدأ مع هذا الحديث

أحبُّ أن أبدأ مع حديث حذيفة ﵁: «**حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما وأنَا أنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: أنَّ الأمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثم نزل القرآن ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ وحَدَّثَنَا عن رَفْعِهَا قالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وليسَ فيه شيءٌ، (ثُمَّ أَخَذَ حَصىً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ. لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**». **وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ. لَئِنْ كَانَ مُسْلِما لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ. وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيّا أو يَهودِيّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَناً وَفُلاَناً**. الحديث في الصحيحين.

(**حدثنا حديثين**) أي حدثنا في أمر الأمانة بحديثين: أحدُهما في نزول الأمانة والآخرُ في رفعها، والأمانة بخلاف الخيانة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾، ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات﴾،

الأمانة: قيل المراد بها، هي الإيمان وتكاليف الإيمان، إذن الأمانة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جهولًا﴾.

فالإيمان، والشرائع هي أمانات، فالوضوء أمانة، والغسل أمانة، والصيام أمانة، والصلاة أمانة، والإنسان مؤتمن عليها بينه وبين ربه، الإيمان في قلبه أمانة، بينه وبين الرب.

والأمانةُ: كل ما يُوكل إلى الإنسان حفظه، كلُّ ما يؤتمن عليه،

والإيمان يُوجب الأمانة: كلما كان الإنسان أكمل إيمانا، كان أكمل أمانة،

والأمانة: هي الائتمان، كون الإنسان مأمونا، عنده أمانة، يعني أنه مأمون، يؤتمن على الشيء، كما في قول الله تعالى عن النبي ﷺ : ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ وفي قول إخوة يوسف ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ وقول المؤمنين للكذابين ﴿لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم﴾

فرفع الأمانة: هو رفع الإيمان، الذي من أثره الأمانة، أو الذي هو أخص آثاره **والائتمان**: كون الإنسان مأمونا.

حدثهم عن نزول الأمانة، وأنها نزلت في جذر قلوب الرجال، جذر قلوب الرجال: يعني الأصل، الجذر: هو الأصل، واستقرت، (جذر قلوب الرجال) بفتح الجيم وسكون الذال أي في أصل قلوب المؤمنين السابقين في الإسلام وذلك لصدق إيمانهم وتمكن الإيمان من قلوبهم حتى صار راسخا كالجبل.

الجَذر: أصل الشيء، **ومعنى إنزالها في القلوب أي**: أن الله تعالى جَبَل القلوب الكاملة على القيام بحقها رجالا كانوا أو نساءً، ونزل القرآن، فسقى هذه البذرة، وقواها وثبتها وزاد عليها فنزل القرآن بما فيه من أخبار وقصص وأحكام ووعد ووعيد.

(**علموا من القرآن**) أي زادت الأمانة رسوخا في قلوبهم بسبب تفقههم في الدين وتعلمهم الكتاب والسنة، فعمل الناس بالقرآن، وعملوا بالسنة، علموا من القرآن، وعلموا من السنة، وعملوا بما فيهما.

وذلك ببعثة محمد ﷺ منّ الله على من شاء من عباده بالإيمان، والاستجابة لدعوته ﷺ فكانت الأمانة في قلوبهم، نزلت الأمانة في قلوبهم، نزل الإيمان في قلوبهم، فجاء القرآن بعد ذلك يثبت الأمانة ويدعمها ويقويها ويزيد عليها، وجاءت السنة، فعلموا منهما، وكان هذا العلم غذاء لما وقر في قلوبهم، وما جعله الله في قلوبهم، فأثمر هذا العلم آثارا حسنة، وهي أنواع الأعمال الصالحة، فاجتمع للصحابة – رضي الله عنهم – الإيمان الصادق، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، من الهجرة، والنصرة، والجهاد، والإنفاق في سبيله وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

يقول حذيفة: ثم حدثنا الرسول ﷺ عن رفع الأمانة، وأن الأمانة ترفع.

ترفع: يعني من المكان الذي نزلت في جذره فيه، ترفع الأمانة، **فيه بيانٌ:** أنَّ الإيمانَ قدِ استقرَّ في أصْلِ قلوبِ الرِّجالِ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ بعد ذلك تَعلَّموا مِنَ القرآنِ ثم مِنَ السُّنَّة، فكانَ إيمانُهم هو السبب في انشراح صدورهم للقرآن ثم السُّنَّةِ أي: الأحكام.

أمَّا الأمرُ الآخَرُ الَّذي لم يقعْ في زمانِ حُذيفةَ ﷺ وكان ينتظرُ وقوعَه –وحذيفة ﷺ توفي سنة (٣٦) من الهجرة بعد قتل عثمان ﷺ بقليل، أي أنه أدرك بعض زمن تغير الأمانة في القلوب – **فهو رفْعُ الأمانةِ من قلوبِ الرِّجالِ.**

فينام الرجل النومة:

- ✓ يحتمل أن المراد من ذكر النوم أن الأمانة تُقبض أي: تنزع في حال غفلة وضعف في إيمانه،
- ✓ ويُحتمل على ظاهره، وأن المقصود سرعة رفع الأمانة من القلب فبمجرد النوم في ليل أو نهار ترفع الأمانة من القلب.

فترفع الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، يبقى لها شيء يسير من الأثر، مثل البقعة، أي تبقى الأمانة ضعيفة مثل النقطة على اليد أو الثوب.

ثم ينام النومة، فترفع أيضا الأمانة، فيظل أثرها كذلك (مثل المجل) أي تصبح الأمانة أضعف وأضعف حتى تكون مثل انتفاخ اليد إذا عمل أحد بالفأس يقبض عليه في يده فيظهر في يده فقاعة ليس فيها شيء إنما هو انتفاخ بين الجلد واللحم فتراه منتبرا أي مرتفعا، يسميها الناس، يسميها العوام عندنا في مصر (بؤبيشا) وهو الذي عبر عنه في

الحديث: بالمجل، فيكون أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط، فتراه منتبرا، يعني الجمرة، إذا مرت على القدم، أو دحرجتها على رجلك، يتسبب هذا في أن تنفط في الجلد، ينتفخ فتراه منتبرا، منتفخا، وليس فيه شيء، هو مجرد انتفاخ، يعني ما تعدو إلا ماء.

نَفِطَ: أي انتضح، وانبتر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء، أثرُ ذلك مِثلُ أثرِ الجمرِ الَّذي يُقلَّبُ ويُدارُ على القَدمِ فيُخلِّفُ انتفاخًا على القدَمِ، وهذا الانتفاخُ ليسَ فيه شيءٌ صالحٌ، إنَّما هو ماءٌ فاسدٌ، يُريدُ أنَّ الأمانةَ تُرفعُ عَنِ القلوبِ؛ عقوبةً لِأصحابِها على ما اجْترَحوا مِنَ الذُّنوبِ، حتَّى إذا استيقظوا مِن منامِهم لم يَجِدوا قلوبَهم على ما كانتْ عليه، ويَبقى فيه أثرٌ، تارةً مثلَ الوكْتِ وتارةً مِثلَ الْمَجْلِ وهو ارتفاع في الجلد يظهر في اليد من العمل بفأس ونحوه، وفي الرجل بسبب الحذاء ونحوه، ويصير مثل القبة ويمتلئ ماء.

هذا تصوير لحال أثر الأمانة في قلب من رُفعت من قلبه الأمانة، وقريبٌ منه حديث: يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا أو يُفتن نعوذ بالله من الحور بعد الكور، والضلال بعد الهدى. ولذلك أسباب يأتي ذكرها فإن الله تعالى حكيم عليم رحيم لا يظلم مثقال ذرة، فلا يُضل عبدا إلا بسبب من العبد

ثم يذكر حذيفة بعد ذلك، ما وقع من تغير أحوال الناس في باب الأمانة، الإيمان:

ومن أثر رفع الأمانة في الواقع، وأنه يصل الأمر بالناس، إلى أن يكون الأمين نادرا، هذا جملة في الحديث، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا. هذا من آثار رفع الأمانة، أن يقل المأمونون، أن يقل من يؤتمن.

ومن اختلال الموازين: مع قلة الأمناء

اختلال الموازين بمدح من ليس أهلا إما للاهتمام بالمظاهر والشكليات أو المدح كذبا ونفاقا

يذكر حذيفة شواهد ذلك ودلالاته، يقول: ولقد أتى عليَّ زمان، وأنا لا أبالي من أبايع، (التبايُع من البيع والشراء والمعاملات عموما) هذا هو الأقرب في معنى التبايُع، وليس من البيعة، وتفاصيل ذلك في غير هذا الموضع، فهولا يبالي من يُبايع: لغلبة الأمانة على الناس، فهولا يبالي من يُعامل، فالمسلمُ الصادق يحمله إيمانه على الصدق والأمانة ونحو ذلك، ولئن كان يهوديا، أو نصرانيا، ليردنّه علي ساعيه، هذا معناه: ساعيه: يعني الوالي عليه من المسلمين **فهو لا يخون ولا يغش إما خوفا من الوالي عليه أو لدينه وأمانته، يسترد لي الحق منه.**

من الناس من يكون أمينا، لا عن إيمان، بل عن معنى آخر، وهو قضية المحافظة على السمعة، هذا ليس بأمين، هذا يعني يترك مثلا الخيانة، ويترك بعض الأمور، التي يمكن أن تؤخذ عليه، يعني محافظة على سمعته، على سمعته في التجارة،

وحاصله أن القلب يخلو عن الأمانة بأن تزول عنه شيئا فشيئا فإذا زال جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة تطغى على القلب فتعميه مثل ما إذا أصابت النار يد إنسان فانتفخت بين اللحم والجلد وما هي إلا فقاعة تزول بعد فترة من الزمن كذلك الإيمان يزول بزوال الوفاء بالأمانة التي أو جبها الله وكلف بها عباده.

والمقصود من هذه التشبيهات بيان تدرج ذهاب الأمانة شيئاً فشيئاً.

يقال للرجل: (**مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ**): (**مَا أَجْلَدَهُ**) أي: ما أقواه، (**مَا أَظْرَفَهُ**) أي ما أحسن وجهه وهيئته ولسانه، (**مَا أَعْقَلَهُ**) أي: ما أقوى عقله وذهنه وتفكيره.

- (**وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**): يعني أن باطنه لا خير فيه ويغرُّ الناسَ مظهره.

لاحظ أنه بعد رفع الأمانة اختلت موازين التقييم فأصبحت بمجرد المظاهر والبلاغة والبيان والفصاحة وربما فيه إشارة للنفاق والمدح بناء على المصلحة.

والمقصود من الحديث: بيان هذه المعاني أن الإيمان في القلوب وصلاح القلب مقدمة قبول الوحي بأخباره وأحكامه والاستقامة عليه ظاهرا وباطنا.

إيمان ثم قرآن ثم أحكام وسنن

أيها الشباب طلاب العلم

مفيش تلازُم أبدا أبدا بين:

أن تكون مُجتهدا ناجحا في مجال معين أو مشهورا أو عالما أو مُثقفا أو مُتكلّما أو مؤثّرا مُتمكنًا، وغير ذلك من معاني (القوة)

وبين:

أن تكون طيّبًا سليم القلب شريفًا نظيفًا شَهْمًا مُستقيًا

ونحو ذلك من معان (الأمانة)

دي حاجة. ودي حاجة تانية خالص.

والذي ينبغي أن تسعى له أولًا: هي معاني الأمانة وما يتفرّع عنها

فهذا أصلُ انتفاعك بمعاني (القوة والتمكُّن)

ومن ذلك بيانُ رسول الله ﷺ في قوله: ((إن الأمانة نزلتْ في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن ثم علموا من السُّنة. . .)

ولمّا حدّث عن رفع الأمانة بيّن أنّ ذهابها من القلب هو بداية ذهاب العمل الصالح الظاهر والباطن

وكان يُعلم أصحابه الإيمانَ قبل القرآن. . .

فإن كنتَ تسيرُ خطوةً في طريق القوة = فاسعَ عشر خطوات في طريق الأمانة

وخيرُ الناس: القوي الأمين في مجاله

لذلك كانت هذه السلسة وأرجو أنها نوعيةٌ في بناء طالب العلم وتكوينه (إيمانيّا وخلقيا ومهاريا ومعرفيا)

والتي أحببتُ أن أبدأها بتهيئة المسلم والمسلمة لمشروع الفقه في الدين

تلك المقدمات التي تُبصّره بمقاصد الطلب والمعاني التي يجب أن يستحضرها ومعايير تقييمه لنفسه وفيه جملة من المعوقات التي جمعتها باستقرائي لأحوال طلاب العلم زمالة وتدريسا وكانت سببا في انقطاعهم عن طلب العلم أو عدم تحقيق ثمرته الإيمانية أو الخُلقية أو المعرفية أو المهارية ويمكن أن تراجعوا خطة المحاضرات وقد أرسلتها لإدارة المعهد حفظهم الله وبارك سعيَهم

وأقول: إن إدارة معهد تعي أهمية تلك المعاني وتحرص على تذكير طلابها بها ومتابعتهم في ذلك لهم على هدى، وطالبا يفرح بها ويطلبها لهو واللهِ حقيق إن شاء الله بأن يُهدى إلى خير ما ينفعُه ولن يُضيعَه الله الأكرم.

وأنا أحبُ أن يُضاف على برامج إعداد طلاب العلم في المعاهد والجامعات والمدارس برنامج لتهيئة الطالب للحياة الدراسة أو يكون كدليل في يده يعرف مقاصد الطلب وحقوقه وواجباته وخارطة العلم والمهارات وغير ذلك مما يرشّد الحياة الدراسية

ومن أخص ما أسعى له في وأطلبه: تهيئة نفوس طلاب العلم لتلقي المعارف وضبطها وحسن توظيفها والانتفاع بها وحينما أبحث ذلك لنفسي ولهم فإن خير ما نطلب منه تلك المعاني كتابُ الله تعالى وبيانه من سنة رسول الله ﷺ فإنه خير من قام برعاية أصحابه وتزكية نفوسهم وتعليمهم ما صاروا به خيرَ أمة.

وما كنت أتصور قبل طلبي ذلك من استقراء الوحي وسنته ﷺ أن أجد هذه المادة الشاملة المتكاملة في تلك المعاني

وأقول: إن الوحي وبيانه من هدي النبي ﷺ لو أعطي حقه من الجمع والتحرير والفقه واستخراج المعاني لصار عندنا منهاج عظيم متكامل في فقه النفس والشريعة وتزكية النفس وإصلاحها والانتفاع بالعلم وحُسن توظيفه.

وأنَّ الإعراضَ عنه، أو التقصيرَ في جمعه وتحريره وفقهه هو الذي ألجأ كثيرا من الناس في طلب فقه النفس وتزكيتها إلى غير هديه فوقعوا في اضطراب وحيرة وعنت وصور من الانحرافاتِ هي من أخصّ ما جاءت الشريعة تُنكره وتُحذِر منه ومن عاقبته (كما سياتي بيان شيء من ذلك إن شاء الله).

كما أحب أن أذكّر كل شاب بهذا الفضل العظيم لمن صبر على طاعة الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» صحيح البخاري.

(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يُزكي شباب الإسلام وكبارهم وأطفالهم

رعاية النبي ﷺ أصحابه

الرعاية: الاهتمام والمحافظة والصيانة، والملاحظة والتفقُّد وطلب الخير له وإبعاد الشر عنه ومن لوازم الرعي: الرّفقُ والمتابعة والمراقبة والأمانة

فالراعي: هو المعتني الحافظ المؤتمَن الملتزم بصلاح ما قام عليه

وسياستِه واختيارِ الأحسن له والسعي في طلب الخير له

وهذا لا شك يتطلب: معرفةً بما تريد أن ترعاه، وبما يُصلحه، وبما يُحيط به من أخطار، وسبل الوقاية منها، وسبل علاجها إذا وقعت

وسول الله ﷺ هو المعلّم والمزكّي الذي منّ الله به على المؤمنين فكان بركةً عليهم: عِلم بهم واهتم وانشغل بهم وخبِر واقعَهم وأحوالَ أنفسهم وطبائعَهم وحاجاتهم فعلّمهم الإيمان والتزكية والتقوى وكان رفيقا رحيما بهم حريصا عليهم

وعناية النبي ﷺ بالشَّباب الشباب خاصّة كانت تتسم بالواقعية واعتبار الفطرة وحاجات النفس، والشمولية: فهي لا تُغفل أي جانب من جوانب حياة الشباب، بل تهتم بهذه الفئة من جميع الجوانب حتى صاروا خير الناس بل وأمره ربه أن يصبر نفسه معهم ومنّ عليه بهم ﴿هو الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

تجد كلَّ ذلك حاضرا في سُنّةِ النبي ﷺ:

وأُحب أن أبدأ بهذا الحديث الجميل من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «**أَتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقارِبُونَ، فأقَمْنا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا ولَيْلَةً، وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أنَّا قَدِ اشْتَهَيْنا أهْلَنا -أو قَدِ اشْتَقْنا- سَأَلَنا عَمَّنْ تَرَكْنا بَعْدَنا، فأخْبَرْناهُ، قالَ: ارْجِعُوا إلى أهْلِيكُمْ، فأقِيمُوا فيهم وعَلِّمُوهُمْ ومُرُوهُمْ**». الحديث.

الشباب يعني:

القُوَّة والحماس وتَفجر الطَّاقات، وظهور المواهب والاستعداد لأداء أنشطة مختلفة، وفيه قلةُ الخبرة وقلة الوعي غالبا، وهي فترة توهج الشهوة، كما أنّ الشباب متفاوتون في القدرات والمواهب والإرادات والأهواء، ولكل شابٍ نقاطُ ضعف (فهذا جاهل، وهذا متهور، وهذا عنده شهوات، وهذا حيران مضطرب عنده شبهات، وهذا مشتت، وهذا فاقد للثقة بنفسه، وهذا عنده غلو في العبادة وإهمال لحقوق نفسه وبيته، وهذا عنده رهبانية مبتدعة يحرم على نفسه الطيبات ويعاند فطرته تقربا إلى الله، وهذا عنده شُح نفسٍ وحسد، وهذا عنده عصبية جاهلية. .) وغير ذلك، ولكل صنفٍ ما يناسبه من الخطابِ والأسلوب والحُجة والمحرك والتكليف.

باختصار: كل شخص منهم له مفتاحه:

- ✓ هذا يحتاج موعظةً تلين قلبه.
- ✓ وهذا يحتاج حجة وبرهان يطمئن به قلبه.
- ✓ وهذا يحتاج ترغيبا.
- ✓ وهذا ترهيبا.
- ✓ وهذا يحتاج قصةً.
- ✓ وهذا بحاجة إلى تشجيع وبث الثقة.
- ✓ هذا يحتاج دعاءً.

وهكذا وهذا مقتضى الأمر ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فهنا ((**رحمةٌ وحُجةٌ وحكمةٌ**)) ولا تُغني أحداها في مقام الدعوة والإصلاح.

فالمُزكّي المُصلِحُ بحاجة إلى:

- ✓ فَهْم للشباب، ولواقعهم، ولحاجاتهم.
- ✓ وتعليمهم الإيمان الذي يثبت به قلوبهم.
- ✓ وتزكيةِ نفوسهم التي تشرح صدورهم لما فيه خيرُهم.
- ✓ وتعليمهم التقوى التي بها يصبرون على طاعة الله وعن معصيته وأهواء النفس.
- ✓ والتذكير والموعظة، والتدرّج في الإصلاح.
- ✓ وتعليم الحكمة والحِلم والأناة ونحوها.
- ✓ والتكليف وتحمل المسئولية لإخراج الطاقات والمواهب ليوظف صحته وفراغه.

وأعظم ما قدمه رسول الله ﷺ للشباب أنه كان الأسوةَ، كان خلقُه القرآنَ، والتعليم بالقدوة أبلغ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

○ عن الرحمة والرفق:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ﴾

فبما رحمة من الله، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك =" لنت لهم "، فسُهلت لهم خلائقك، وحسُنت لهم أخلاقك، حتى احتملتَ أذى من نالك منهم أذاه، وعفوتَ عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيتَ عن كثير ممن لو جفوتَ به وأغلظتَ عليه لتركك ففارقك ولم يتّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم. كما في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي ﷺ قال: «**بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذْ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَّاهْ، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجلعوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كَهَرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنّهم**» رواه مسلم.

ومنه: عن أبي وائل ﷺ «**أنَ عبد اللهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يومِ خَمِيسٍ، فَقالَ له رَجُلٌ: يا أَبَا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يومٍ، فَقالَ: ما يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إلَّا كَرَاهيةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعِظَةِ في الأيَّامِ، كَرَاهيةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**». فكيف بحديث غير رسول الله!

○ توطين النفوس وتعليم الإيمان بيان أثره وعاقبة الغفلة عنه:

لذلك كان رسول الله ﷺ يهيأ الشباب بالإيمان وتزكية النفس والتقوى عن جندب بن عبد الله ﷺ: «**كُنَّا معَ النَّبِيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حَزاورَةٌ، فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعَلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازدَدنا بِهِ إيمانًا**».

عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**إنَّما نَزَلَ أولَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَ لَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا**»

وقصّ عليهم نبأ الفتية المؤمنين الصابرين ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾

فمن آمن وصبر زاده الله هدى وربط على قلبه عند الشدائد، وكان معه.

- **ومن الاهتمام:**

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «**ما حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلَّا تَبَسَّمَ في وجْهِي. ولقَدْ شَكَوْتُ إلَيْهِ إنِّي لا أثْبُتُ علَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بيَدِهِ في صَدْرِي، وقالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**. . » الحديث.

وقد كان جرير سيدَ قومه وقد قدم على سول الله ﷺ مسلما قبل وفاة الرسول بأربعين يوما.

أي: كان يَأذَنُ كُلَّما استأذَنَ، **وفيه:** أنه كان يتردد إليه ويرجع إليه يعني لما وجده منه من ترحيبٍ واهتمام شجّعه على ذلك.

عن التبسّم والرحمة بالخلق واللُّطف وأثره:

يقول ابن القيم: ((إنَّ الناسَ ينفرون من الكثيفِ ولو بلغ في الدينِ ما بلغ، ولله ما يجلبُ اللطفُ والظرفُ من القلوب فليس الثقلاءُ بخواصِ الأولياء، وما ثقُلَ أحدٌ على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفةٍ هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبدَ حلاوةً ولطافةً وظُرفا، فترى الصادقَ فيها من أحبّ الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالةُ النفس وكدورةُ الطبع)).

وقال ابن عيينة: ((والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين)).

وقال أبو حامد الغزالي: ((وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حين تقطب ولافي الوجه حين يعبس ولا في الخد حين يُصعر ولافي الرقبة حين تطأطأ وإنما الورع في القلوب)).

- **تفقُّد الأحوال لضمان حُسن فقه الشريعة والاستقامة عليها والتوجيه والإصلاح والتعليم، واختيار الأنسب من الأعمال، وردّ أي مخالفة لهديه:**

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قالَ: «**بَيْنَا أنَا أمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» أخرجه البخاري ومسلم.

عن عبد الله بن عمرو: «**أنْكَحَنِي أبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عن بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِن رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، ولَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذلكَ عليه ذَكَرَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: القَنِي به، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقالَ: كيفَ تَصُومُ؟ قالَ: كُلَّ يومٍ، قالَ: وكيفَ تَخْتِمُ؟، قالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قالَ: صُمْ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، واقْرَإِ القُرْآنَ في كُلِّ شَهْرٍ، قالَ: قُلتُ: أُطِيقُ أكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: صُمْ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ في الجُمُعَةِ، قُلتُ: أُطِيقُ أكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: أفْطِرْ يومَيْنِ وصُمْ يَوْمًا قالَ: قُلتُ: أُطِيقُ أكْثَرَ مِن ذلكَ، قالَ: صُمْ أفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ داوود صِيَامَ يَومٍ وإفْطَارَ يَومٍ، واقْرَأْ في كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وذَاكَ أنِّي كَبِرْتُ وضَعُفْتُ، فَكانَ يَقْرَأُ علَى بَعْضِ أهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بالنَّهَارِ، والذي**

يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكونَ أخفَّ عليه باللَّيْلِ، وإذَا أرَادَ أنْ يَتَقَوَّى أفْطَرَ أيَّامًا وأَحْصَى، وصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أنْ يَتْرُكَ شيئًا، فَارَقَ النبيَّ ﷺ عليه». (البخاري)

وأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ: «لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، مَا عِشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ قَالَ قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ قَالَ قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوودَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَهو أَعْدَلُ الصِّيَامِ قَالَ قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي. . الحديث

وعن سعد بن أبي وقاص: «رَدَّ رَسولُ اللَّهِ ﷺ علَى عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، ولو أذِنَ له لَاخْتَصَيْنَا».

والمُراد بالتَّبَتُّلِ هُنا الانقطاعُ عن النِّكاحِ وما يَتبَعُه مِنَ المَلاذِّ إلى العِبادةِ؛ لأنَّ تَرْكَ مَلاذِّ الحَياةِ والانقِطاعَ للعِبادةِ مِنَ الغُلُو في الدِّينِ، والرَّهبانيَّةِ المذمومةِ.

قال سعدٌ: ولو أَذِنَ ﷺ لابنِ مَظْعونٍ في تَركِ النِّكاحِ "اخْتَصَيْنا"، والخِصاءُ هو الشَّقُّ على الأُنْثَيَيْنِ وانتزاعُهما، وقولُ سعدٍ رضي اللَّه عنه: "اخْتَصَيْنا"؛ لإرادةِ المبالَغةِ، أي: لَبالَغْنا في التَّبتُّلِ حتَّى يُفضِيَ بِنا الأمرُ إلى الاختِصاءِ، ولم يُرِدْ به حَقيقةَ الاختِصاءِ؛ لأنَّه حرامٌ، وقيل: بل هو على ظاهرِه، وكان ذلك قبل النَّهيِ عن الاختِصاءِ.

أما قوله ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨].

قال ابن كثير –رحمه الله–: (أي: أكثِرْ من ذِكره، وانقطع إليه، وتفرَّغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك؛ كما قال تعالى–: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧]؛ أي: إذا فرغت من أشغالك، فانصَبْ في طاعته وعبادته؛ لتكون فارغ البال، وقال ابن عباس: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨]؛ أي: أخلِصْ له العبادة، وقال الحسن: اجتهد وبَتِّل إليه نفسك).

وسيأتي حديث سلمان وأبي الدرداء إن شاء الله.

وعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا**».

قال ﷺ لعمر بن أبي سلمة: «**يا غلام، سَمّ الله، وكلْ بيمينك، وكل مما يليك**».

وقال لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**».

وقال لأبي ذر: «**إني أحب لك ما أحب لنفسي إنك ضعيف لا تأمرنّ على اثنين**».

وعن أبي سعيدٍ عبدالرحمنِ بن سَمُرةَ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**يَا عَبدَالرَّحمن بن سمُرَةَ، لا تَسْأَل الإمارَةَ؛ فَإنَّك إن أُعْطِيتَها عَن غَيْرِ مسأَلَةٍ أُعِنْتَ علَيها، وَإنْ أُعْطِيتَها عَن مسأَلةٍ وُكِلْتَ إلَيْها، وإذَا حَلَفْتَ عَلى يَمِينٍ فَرأَيت غيرها خَيرًا مِنهَا؛ فَأْتِ الَّذِي هو خيرٌ، وكفِّر عَن يَمينِكَ**» متفقٌ عَلَيهِ.

وعن أَبي ذرٍّ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**يا أبا ذَرّ، أَرَاك ضعِيفًا، وَإنِّي أُحِبُّ لكَ مَا أُحِبُّ لِنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْن، وَلا تُوَلَّيَنَّ مَالَ يتِيمٍ**» رواه مسلم.

وعَنْ عبداللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: «**كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ**»

وفي سنن الدارمي: «**. . . وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّ بِالظُّعُنِ يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَوَضَعَهَا عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ رَأْسَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ**»

وذلك **هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب** بن هاشم الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ كان أسنَّ ولدِ العباس، وغزا مع النبي ﷺ مكة وحُنيناً وثبت معه يومئذ، وشهد معه حجة الوداع، وكان فيمن غسّل رسول الله ﷺ، وولي دفنه.

كيف استطاع ذلك النبي الكريم ﷺ التعامل مع تلك النفوس واستخراج أحسن ما فيها وبادر إلى منعه من مقدماته دون أن يعنّف

ومن عظيم ما جاء في ذلك:

عن أبي أمامة رضي الله عنه: «**أنَّ فتًى شابًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إئذَنْ لي بالزِّنا، فأَقبلَ القومُ علَيهِ فزَجروهُ وقالوا: مَهْ. مَهْ. فقالَ: أدنُهْ، فدَنا منهُ قريبًا. قالَ: فجلَسَ قالَ: أتحبُّهُ لأُمِّكَ؟ قالَ: لا. واللَّهِ جعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لأمَّهاتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لابنتِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ جعلَني اللَّهُ فداءَكَ قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لبَناتِهِم. قالَ: أفتُحبُّهُ لأُختِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسول اللَّه جعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لأخواتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لعمَّتِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّه جَعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ**

لعمَّاتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لخالتِكَ؟ قل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ جَعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لخالاتِهِم. قالَ: فوَضعَ يدَهُ عليهِ وقالَ: اللَّهمَّ اغفِرْ ذنبَهُ وطَهِّر قلبَهُ، وحصِّن فَرجَهُ فلم يَكُن بعدُ ذلِكَ الفتَى يَلتَفِتُ إلى شيءٍ». رواه أحمد بإسناد صحيح

ولا أدري كيف أتناولُ هذا الموقف العظيم الذي جمع (الاهتمام والقُرب والاستماع وفهم الحالة، والرحمة والحرص والحِلم والأناة والحُجة والبيان والدعاء)؟!

فنفسُ أن يبوح الشابّ بمثل ذلك أمام رسول الله ﷺ برهان عظيم على معنى اللين والرفق

وطرحَ عليه الأسئلة ليصل على الإجابة بنفسه! وعرض له المعصية في صورتها القبيحة لأنه كانت حسنة في عينه الشاب يعرف تحريم الزنا من الإسلام، لكن النبي ﷺ ذكر له حُججا أخرى يزداد بها بُغضا لهذا الفعل وليعرف حِكمة التشريع في تحريمه. ثم دعا له بما يناسب حاجته. فتحوّل ذلك الشابُ من ضعيف أمام الشهوة مُعذَّبٍ بها يشعر بأن الله حرمه منها، إلى قوي بصير بقبحها وحكمة الله في النهي عنها يُدرك إن الله حماه منها وصانَه، ولا شك ازداد حُبا لرسول الله ﷺ وعلِم حرصه عليه ورحمته.

صار ذلك الشاب من مُحبّ للفاحشة طالب لها إلى مُبغض لها لا يلتفت إليها

من شابٍّ يمثل خطرا على بيته ومجتمعه إلى شاب نشأ في طاعة الله!

هكذا يحتاج الشباب.

فلا يصح أن ننكر ما بهم من أهواء وشهوات بل نسعى لتبصيرهم بسُبل التزكية والإيمان والتقوى وسبل نهي النفس عن الأهواء التي لا تُرضي الله. وكثير ممن ننظر إليهم من الشباب الضائعين فيهم خير عظيم يحتاجون نفس السبيل التي اتّبعها النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الشاب.

ومن عظيم ما جاء أيضا:

وعبد الله الذي كان يلقب حمارا وقد أوتي به كثيرا في شرب الخمر كيف نهى من يلعنه وشهد له بحب الله ورسولِه، وقال: «**لا تعينوا الشيطان على أخيكم**».

فعاقبَه بما يستحق، لكنه نهى عن البغي والاعتداء عليه، وجَبَرَ خاطرَه، وفتح له بابا إلى الله ليُبصر خير نفسه، ويعلمَ أنه بخير ليتوب ويستأنفَ رحلته في طريق الإيمان والعمل الصالح

فهذا الطريق يحتاجُ تشجيعا، يحتاجُ أن يحسِب الإنسانُ نفسه في زُمرة المستقيمين

فلا تُصَوِّرْ لأخيك الذي له ذنبٌ لا يستطيعُ الانفكاكَ عنه، أو يشقُّ عليه جدا تركُه=أنّه لا يُمكن أن يكون مُستقيمًا مُتديّنًا إلا إذا تركَه! لا تجْلدْه به!

بل تغافَل عنه (فترةً) وأثنِ عليه بما فيه من خير لتعود إليه الثقة في قدرته على إصلاح نفسه

وافتحْ له طُرقًا أخرى في طريق الله، فشُعبُ الإيمان كثيرةٌ ومُتنوّعةٌ

فاخترْ له أيسرها عليه ودُلّه عليها

فنفسُ ذلك الشعور –واللهِ–وقايةٌ من كثيرٍ من الحرام، مُشجّعٌ على الصالحات

وإذا تصوّر أنه ليس من زمرة أهل الاستقامة فإنّ ذلك بوابةُ الفجور.

اجعلْه يسلُك ذاك الشِبرَ في طريق الله فيتقرَّبُ الله له ذراعا. وباعًا. ويأتيه ويفرح به.

فالدعوةُ إلى الله هي ((فِقهُ المُمكن))

تقليلُ الشرّ في الناس، وتكثيرُ الخير فيهم بحسب الإمكان.

- **التخويف في موضعه حسنٌ:**

عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: «**كنتُ أضرِب غلامًا لي بالسَّوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلمَّا دنا مِنِّي إذا هو رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– فإذا هو يقول: ((اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود))، فسقط السَّوْطُ من يدي من هَيْبَتِه، فقال: ((اعلم أبا مسعود أنَّ اللهَ أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام))، فقلت: يا رسول الله، هو حُرٌّ لوجه الله، فقال –صلى الله عليه وسلم–: ((أمَا لولم تفعل للفحتْك النارُ، أو لمسَّتْك النار))، فقلت: والذي بعثك بالحقِّ، لا أضرب عبدًا بعده أبدًا، فما ضربت مملوكًا لي بعد ذلك اليوم**»

عن المعرور بن سويد، رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وعليه حُلَّةٌ، وعلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عن ذلكَ، قالَ: فَذَكَرَ أنَّهُ سَابَّ رَجُلًا علَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَعَيَّرَهُ بأُمِّهِ، قالَ: فأتَى الرَّجُلُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذلكَ له، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فمَن كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ عليه».

أي: الَّذين يُخَوِّلُون أمورَكم بمعنى يُصلِحونها مِنَ العَبيدِ والخَدَمِ هم إخوانُكم في الدِّينِ، جعلَهمُ اللهُ سبحانه وتعالى تحتَ سُلطانِكم، «فمَنْ كان أَخوه تحتَ يدِه، فَلْيُطعِمْه ممَّا يأكلُ، ولْيُلبِسْه ممَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلبُهم، فإنْ كلَّفتُموهم فَأَعِينُوهم» يعني: لا تَطلُبوا منهم مِنَ العملِ ما لا يَستطيعونَ فِعلَه، فإنْ أَمَرتُموهم بشيءٍ مِن ذلك فعليكم إعانتُهم، فلمَّا سمِعَ أبو ذرٍّ رضِي اللهُ عنه هذا الحديثَ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يُلبِسُ خادِمَه ثِيابًا مثلَه، كما رآه رَجلٌ في الرَّبذَةِ وهو مَوضعٌ قريبٌ مِنَ المدينةِ، عليه حُلَّةٌ، وهي ثَوبانِ إزارٌ ورداءٌ، وعلى خادِمِه حُلَّةٌ مثلُه؛ امتثالًا لِمَا سمِعَه مِنَ النَّبيِّ ﷺ.

انظر كيف أثّر ذلك في نفس أبي ذر لأن نفسه زكية فعمل بوصية رسول الله

○ والخبرة بمعادن الرجال خص بعضهم بما يناسبه:

قال ابن تيمية في بيان صورةٍ من ذلك عن حكمة رسول الله ﷺ: (وذلك لأن النفوس إذا اعتادت المعصيةَ: فقد لا تنفطم عنها انفطاما جيدا إلا بترْك ما يُقاربها من المباح. كما قيل: " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال " ، كما أنها (النفس) أحيانا لا تترك المعصية إلا بتدريج؛ لا تتركها جُملةً.

فهذا يقع تارة وهذا يقع تارة. ولهذا يوجد في سنة النبي ﷺ: لمن خشي منه النُّفرة عن الطاعة: الرخصةُ له في أشياء يستغني بها عن المحرَّم. ولمن وُثِق بإيمانه وصبره: النهيُ عن بعض ما يُستحب له تركُه مبالغةً في فعل الأفضل.

ولهذا يستحب لمن وُثِق بإيمانه وصبره -من فعل المستحبات البدنية والمالية كالخروج عن جميع ماله مثل أبي بكر الصديق -ما لا يستحب لمن لم يكن حاله كذلك، كالرجل الذي جاءه ببيضة من ذهب فحذفَه بها فلو أصابته لأوجعتْه. ثم قال: " يذهب أحدُكم فيخرج ماله ثم يجلس كَلًّا على الناس))ا.هـ. ((كتاب القواعد النورانية)).

○ والتكليف بما يناسب:

- خصّ معاذا بحديث (حق الله على العباد) ونهاه أن يُحدث بها حتى لا يتكل الناس.
- ومن جملة من خصّهم بحفظ الحديث أبو هريرة.
- وفي حديث قال: ((لا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ)).
- وحذيفةُ صاحبُ سرّه

قالَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمانِ: «**وَاللَّهِ إنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بكُلِّ فِتْنَةٍ هي كَائِنَةٌ، فِيما بَيْنِي وبيْنَ السَّاعَةِ، وَما بي إلَّا أَنْ يَكونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَرَّ إلَيَّ في ذلكَ شيئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غيرِي**».

وكذلك في حديث: يزيد بن شريك: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقالَ رَجُلٌ: لو أَدْرَكْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَاتَلْتُ معهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذلكَ؟ لقَدْ رَأَيْتُنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الأحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقالَ: قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بخَبَرِ القَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إذْ دَعَانِي باسْمِي أَنْ أَقُومَ، قالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِن عِندِهِ جَعَلْتُ كَأنَّما أَمْشِي في حَمَّامٍ حتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا في كَبِدِ القَوْسِ فأرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسولِ اللهِ ﷺ: وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، ولو رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي في مِثْلِ الحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فأخْبَرْتُهُ بخَبَرِ القَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فأَلْبَسَنِي رَسولُ اللهِ ﷺ مِن فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عليه يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قالَ: قُمْ يا نَوْمَانُ. . .)) الحديث.

لما علِم من حذيفة شجاعة حكمة خِفّة وحسن التصرف وضبط النفس

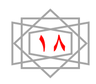
وبناء على ذلك اختلف نصائحه لهم بناء على فهمه لهم ولقدراتهم وحاجاتهم:

- وقال لأبي ذر ((إنك ضعيف لا تأمرنّ على اثنين))
- وقال لرجل ((لا تغضب))
- وأوصى أعرابيا سأله عن عمل يدخله الجنة ((بالعمل بالصلوات الخمس. وبعض الفرائض))
- وأوصى غيره بإطعام الطعام وإلقاء السلام على من عرف ومن لم يعرف
- وأدخل رجلا في الإسلام بمال تألّفه به ثم يدخل الإيمان إلى قلبه شيئا فشيئا
- وفي حديث المسور بن مخرمة يا بُنَيِّ، إنَّه بَلَغَنِي أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَدِمَتْ عليه أقْبِيَةٌ فَهو يَقْسِمُهَا، فَاذْهَبْ بنَا إلَيْهِ، فَذَهَبْنَا فَوَجَدْنَا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في مَنْزِلِهِ، فَقالَ لِي: يا بُنَيِّ ادْعُ لِيَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأعْظَمْتُ ذلكَ، فَقُلتُ: أدْعُو لكَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فَقالَ: يا بُنَيِّ، إنَّه ليسَ بجَبَّارٍ، فَدَعَوْتُهُ، فَخَرَجَ وعليه قَبَاءٌ مِن دِيبَاجٍ مُزَرَّرٌ بالذَّهَبِ، فَقالَ: يا مَخْرَمَةُ، هذا خَبَأْنَاهُ لكَ فأعْطَاهُ إيَّاهُ. **وفي رواية:** أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُهْدِيَتْ له أَقْبِيَةٌ مِن دِيبَاجٍ، مُزَرَّرَةٌ بالذَّهَبِ، فَقَسَمَهَا في نَاسٍ مِن أَصْحَابِهِ، وعَزَلَ منها واحِدًا لِمَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلٍ، فَجَاءَ ومعهُ ابنُهُ المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ علَى البَابِ، فَقالَ: ادْعُهُ لِي، فَسَمِعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَوْتَهُ، فأخَذَ قَبَاءً، فَتَلَقَّاهُ به، واسْتَقْبَلَهُ بأَزْرَارِهِ، فَقالَ: يا أَبَا المِسْوَرِ خَبَأْتُ هذا لَكَ، يا أَبَا المِسْوَرِ خَبَأْتُ هذا لَكَ، **وكانَ في خُلُقِهِ شِدَّةٌ**
- وآثر عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ونحوهم بالقسة يوم حنين
- وعن أنس أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ فَقالَ أَنَسٌ: إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلَّا الدُّنْيَا، فَما يُسْلِمُ حتَّى يَكونَ الإسْلَامُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا.
- بينما أحسن على ثمامة وأكرمه وأطلقه لأن مثله ينفعه ذلك فصار الإسلام أحب الدين على قلبه ووجه رسول الله أحب الوجوه إليه وصار معه عونا له وسندا. فإذا الذي بينك وبينه عداوة ة كأنه ولي حميم
- بينما في فتح مكة تالف أبا سفيان بما يناسبه فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن إظهار لشرفه. مع أن كل من دخل بيته فهو آمن
- قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له: أبو عمير وكان إذا جاءه قال: يا أبا عُمير ما فعل النُّغير (نُغَرٌ كان يلعب به) يلاطفه ويهتم به.

○ مراعاة طبائع النفوس وحاجات النفس:

- كما راعى الحياء عند عثمان رضي الله عنه الذي قد يمنعه طلب حاجاته لما دخل عليه فجلس وسوّى ثيابه صلى الله عليه وسلم وقال لما سئل عنه «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**».
- عن عائشة كانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ وأَنَا أنْظُرُ، فَما زِلْتُ أنْظُرُ حتَّى كُنْتُ أنَا أنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهو.
- وعن أنس كانَ النبيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فأرْسَلَتْ إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتي النبيُّ ﷺ في بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمع النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الذي كانَ في الصَّحْفَةِ، ويقولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حتَّى أُتِيَ بصَحْفَةٍ مِن عِندِ الَّتي هو في بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إلى الَّتي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ في بَيْتِ الَّتي كَسَرَتْ.
- كان النبيُّ ﷺ في سَفَرٍ، وكان غلامٌ يَحدُوبِهِنَّ-أي بالنِّساء-يُقال له أَنْجَشَةُ، والحَدْوُ: سَوْقُ الإبلِ والغِناءُ لها، فقال النبيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ» أي: أَمْهِل «يا أَنْجَشَةُ سَوْقَك بالقَوَارِيرِ»، أي: ضَعَفةِ النِّساء. والقَوَارِيرُ: جمعُ قَارُورةٍ، سُمِّيت بذلك لاستِقرارِ الشرابِ فيها، وكَنَى عن النِّساءِ بالقَوَارِير (مِن الزُّجَاج)؛ لِضَعْفِ بِنْيَتِهِنَّ ورِقَّتِهِنَّ ولَطَافَتِهِنَّ. أو أنه لم يأمن أن يقع حُداؤه في قلوبهنّ أو غير ذلك
- وترك إطالة الصلاة مع إرادته ذلك خشية وجد أم الصبي يبكي
- وكان يُقبل الصبيان ويلقي السلام عليهم ويلاعبهم ومجّ لُعابه من دلوفي وجه محمود بن الربيع
- ومن عظيم ذلك: عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت أتيتُ رسولَ الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميصٌ أصفر، قال رسول الله ﷺ سنه سنه، قالتْ فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة فزبرني أبي، قال رسولُ الله ﷺ: **دعها**، ثم قال رسول الله ﷺ **أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي** قال راوي الحديث: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها

((سنه سنه)) وهي بالحبشية: حسنة.



○ الكشف والبيان عمّا قد يلتبس عليهم وبيانُ وجهه والحكمة فيه:

عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ نَاسًا مِنَ الأنْصَارِ قالوا لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ أفَاءَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ ﷺ مِن أمْوَالِ هوازِنَ ما أفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِن قُرَيْشٍ المِئَةَ مِنَ الإبِلِ، فَقالوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا ويَدَعُنَا، وسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِن دِمَائِهِمْ، قَالَ أنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بمَقَالَتِهِمْ، فأرْسَلَ إلى الأنْصَارِ، فَجَمعهُمْ في قُبَّةٍ مِن أدَمٍ، ولَمْ يَدْعُ معهُمْ أحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ما كانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُم. قَالَ له فُقَهَاؤُهُمْ: أمَّا ذَوُو آرَائِنَا يا رَسولَ اللَّهِ، فَلَمْ يقولوا شيئًا، وأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أسْنَانُهُمْ، فَقالوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسولِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا، ويَتْرُكُ الأنْصَارَ، وسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِن دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: إنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بكُفْرٍ، أما تَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالأمْوَالِ، وتَرْجِعُوا إلى رِحَالِكُمْ برَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَاللَّهِ ما تَنْقَلِبُونَ به خَيْرٌ ممَّا يَنْقَلِبُونَ به، قالوا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ رَضِينَا، فَقَالَ لهمْ: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ ورَسوله ﷺ علَى الحَوْضِ.

وعن سعد بن أبي وقاص: «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أعْطَى رَهْطًا وسَعْدٌ جالِسٌ فيهم، قالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسولُ ﷺ منهمْ مَن لَمْ يُعْطِهِ، وهو أعْجَبُهُمْ إلَيَّ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أو مُسْلِمًا، قالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي ما أعْلَمُ منه، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أو مُسْلِمًا، قالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي ما عَلِمْتُ منه، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أو مُسْلِمًا، إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وغَيْرُهُ أحَبُّ إلَيَّ منه، خَشْيَةَ أنْ يُكَبَّ في النَّارِ علَى وجْهِهِ. الحديث

لعلمه بسعة صدر رسول الله وتقبّل المناقشة والمراجعة كرر ذلك إلى أن عرف وجه الحكمة فيه

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه: «أتَى النبيَّ ﷺ مَالٌ فأعْطَى قَوْمًا ومَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقالَ: إنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وأَدَعُ الرَّجُلَ، والذي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الذي أُعْطِي، أُعْطِي أقْوَامًا لِما في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، **وأَكِلُ أقْوَامًا إلى ما جَعَلَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ منهمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ، فَقالَ عَمْرٌو: ما أُحِبُّ أنَّ لي بكَلِمَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.** .» البخاري

انظر كيف أثرت الكلمة في عمرو!

○ **سياسة النفوس والدخول عليها من مداخلها، والدعاء لهم:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: (مَنْ وَضَعَ هَذَا؟)، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وعن قيس بن أبي حازم: قال: قال لي جرير: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة» وكان بيتاً في خثعم يسمى كعبة اليمانية، قال: فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، قال: وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، وقال: "اللهم ثبته، واجعله هادياً مهديًّا"، فانطلق إليها فكسرها وحرقها، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق، ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجوف أو أجرب، قال: فبارك في خيل أحمس، ورجالها خمس مرات.

هكذا هيّأ النبي ﷺ نفوس الشباب وطيّب قلوبهم لاستقبال المعارف والمصائب والمواقف فكانوا كما ذكر الله ﴿إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ولأحكامه ﴿سمعنا وأطعنا﴾ ولأخباره «إن كان قالها فقد صدق» وعند البلاء ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾

تلك حلاوة الإيمان

أنْ يصرفَ اللّهُ قلبَك للعمل الصالح =فهذه نِعمةٌ عظيمة.

وأمّا أنْ يُسعِدك بالطاعة ويجعلها سهلةً خفيفةً عليك، وقُرّةَ عينٍ لك. ويجعلُ راحتَك فيها = فذلك واللهِ فردَوسُ الدّنيا المعجّل لك

ذلك واللهِ بسلمُ الحياة

وتلك هي حلاوةُ الإيمان وطعمُه التي:

يكونُ بها اللهُ ورسولُه أحبَ إليك مما سواهما

وينشرح بها صدرُك لأحكام الله

وتصبر بها على قدرِه

وتشتاق بها إلى لقائه

فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

سبحانك لا نُحصي ثناء عليك

يا رب يارب يارب اجعلْ فرحنا وسعادتنا فيما تُحب

وجماع ما تقدم:

- ✓ -الشعور بمسؤولية إصلاح الشباب
- ✓ -الحرص عليهم وحب الخير لهم
- ✓ -فهم واقعهم ونفوسهم وطبائعهم وحاجاتهم وحُسن التعامل معها
- ✓ -الاعتناء بهم واحتواءهم
- ✓ -الرفق واللين والرحمة
- ✓ -إشعارهم بالأمان مما يفتح لهم المجال أن يبوحوا ويتكلموا لنعرفهم ونعرف حاجاتهم
- ✓ -السعي في هدايتهم ببصائر ومحكمات الإيمان التي تطمئن بها قلوبهم وتتلاشى بها الشبهات
- ✓ -وتزكيةٌ للنفس بالعمل الصالح التي تعينهم على مواجهات أهواء النفس
- ✓ -وتقوى بها يصبرون على الطاعة وعن المعصية
- ✓ -وموعظة وتذكرة تلين لها القلوب
- ✓ -وقصص تثبت قلوبهم وتذكّرهم بثواب عملهم وعاقبته
- ✓ -وعلمٌ بعلم الله ورحمته وحكمته يصبرون به على قدره
- ✓ -وتوجيهاتٌ في الأخلاق
- ✓ -تكثيرُ الخير وتقليل الشر فيهم
- ✓ -وإشعارُهم بقيمتهم ومواهبهم
- ✓ -وصدقُ النصيحة لهم
- ✓ -وتكليفُهم بما يناسبهم من الأعمال = ثم انظر بعدها كيف سيكونون. سيتحولون من كونهم جزءا من مشكلات المسلمين إلى نماذج وقدوات.

واقسم بالله إن كثيرا من الشباب لهو خامة عظيمة وطاقات وفيهم خير عظيم لكنهم يحتاجون من يحسن استخراج ذلك منهم

((قصتي مع شاب بأحد المعاهد التي كنتُ أُدرّس فيها))

وما ذكرتُ هنا جزء يسير مما كان عليه رسول الله في فهم نفوسهم الاهتمام والانشغال والتزكية والتعليم والدعاء لأصحابه =فكيف بعد ذلك نرجع في تزكية أنفسنا وشبابنا وأبنائنا إلى غير سبيله إلا أن نكون ضللنا

ومن أهمل تهيئة نفوس الشباب بتلك المقدمات فقد تجاوز أهم مرحلة

ويحكي عبد اللهِ بنِ عُمرَ نوعا من ترك الاهتداء بالنبي وأثره على صاحبه "لقد عِشْنا بُرهةً مِن دَهْرِنا، وإنَّ أحدَنا يُؤْتَى الإيمانَ قبلَ القُرآنِ، وتنزِلُ السُّورةُ على محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيتَعلَّمُ حلالَها وحَرامَها، وما ينْبَغي أنْ يُوقَفَ عندَه فيها كما تَعلَّمونَ أنتم القُرآنَ"، ثمَّ قال: "لقد رأيْتُ رِجالًا يُؤْتَى أحدُهم القُرآنَ، فيقرَأُ ما بين فاتحتِه إلى خاتمتِه ما يَدري ما أمْرُه ولا زاجِرُه، ولا ما ينْبَغي أنْ يُوقَفَ عنده منه، ينثُرُه نثْرَ الدَّقَلِ"

وهو الرَّديءُ مِن التَّمرِ وما لا فائدةَ فيه.